القدرة اللغوية والقدرة التواصلية

النص الأول : القدرة التواصلية : من كتاب دوجلاس براون تعليم اللغة وتعلمها

أول من استعمل هذا المصطلحه هو العالم الاجتماعي "ديل هايمز" حين رأى فكرة تشومسكي عن "القدرة" محدودة غير شاملة لأن هذه الفكرة عن "الابداع المقنن" في وصف اتقان الأطفال في الثالثة والرابعة للقواعد النحوية لم تفسر القواعد الوظيفية والاجتماعية للغة ، فالقدرة الاتصالية إذن هي ذلك العنصر الذي نستطيع به أن ننقل الرسائل ، ونفسرها ، ونتفاوض مع الآخرين في سياقات محددة وقد ذكرت سافينيون أن القدرة الاتصالية ليستمسألة مطلقةبل هي نسبية تستند إلى تعاون كل الأطراف وهي كذلك ليست مقصورة على الفرد منعزلا عن الآخرين- كما جاء عند تشومسكي في كتاباته الأولى – لكنها خاصية وديناميةتربط بين الأفراد، ولا يمكن فحصها إلا عند تحققها بين شخصين في حالة خطاب ص 244-245

ولقد سعت البحوث التي أجريت في السبعينيات إلى التمييز بين القدرة اللغوية والقدرة الاتصالية ، حتى نعرف الفرق بين مايجب أن نعرفه عن قواعد اللغة وأشكالها ، ومايجب أن نعرفه من أجل الاتصال باللغة لمختلف الأغراض والوظائف،وقد فرق جيمس كيمنز بين القدرة اللغوية المعرفية الأكاديمية والمهارات الأساسية في الاتصال بين الأفراد أما الأولى فتمثل بعدا واحدا من القدرة يعالج فيها المتعلم الظواهر السطحية للغة خارج السياق الاتصالي المباشر وهذا ما يؤديه من التدريبات والاختبارات داخل قاعة الدرس. أما الثانية فهي تلك القدرة الاتصالية التي يكتسبها الأطفال مما يجعلهم يمارسون الاتصال اليومي داخل المجتمع . ثم عدل كيمنز فكرته فسمى الأولى الاتصال في سياق مصغر والثانية الاتصال الذي يشتمله سياق. ص 244

وقد توصل مايكل كانال وميريل سوين إلى تعريف للقدرة الاتصالية صار أساسا لما يجري حولها من مناقشات ، وهو يشتمل على أربعة مكونات ، يتصل الأولان بالنظام اللغوي نفسه، والآخران بالجوانب الوظيفية الاتصالية .

أما المكون الأول فهو القدرة النحوية وهي تشتمل على المعرفة بالوحدات المعجمية وقواعد الصرف والتراكيب ودلالة الجملة والأصوات أي أنها تعني السيطرة على الرمز اللغوي ، وهي تعادل القدرة اللغوية عند هايمز.

وأما المكون الثاني فهو قدرة الخطاب، أي القدرة على ربط جمل لتكوين خطاب، ولتشكيل تراكيب ذات معنى في سلسلة متتابعة . والخطاب يشتمل على أي شيء يتدرج من الحوار البسيط المنطوق إلى النصوص الطويلة المكتوبة . ومن الواضح أن القدرة النحوية تركز على الجملة على حين تركز قدرة الخطاب على مابين الجمل من علاقات.

والمكون الثالث هو القدرة اللغوية الاجتماعية ، وهي تعني معرفة القواعد الاجتماعية والثقافية للغة وللخطاب وهي تقتضي فهم السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه اللغة ، وأدوار وأطراف الخطاب، والمعلومات المشتركة بينهم، ووظيفة الخطاب.

وأما المكون الرابع فهو القدرة الاستراتيجية ، وهي معقدة أشد التعقد ، إذ تعني مانوظفه من استراتيجيات لغوية وغير لغوية ليعوض النقص الناتج عن متغيرات الأداء أو عدم توافر القدرة . أي أنها - على ما تشرح سافينيون- الاستراتيجيات التي نستخدمها لنعوض نقصا ما في معرفة القواعد، أو بسبب عوامل تحد من أدائنا كالمرض وعدم التركيز. ومعنى ذلك- في ايجاز- أنها تزودنا بالمقدرة على إصلاح مانقوله بأن نعالج المعرفة الناقصة ، وبأن نواصل الخطاب بشرح العبارات أو بالدوران حول المعنى ، أو بالتكرار أو التردد أو التحاشي أو التخمين ، أو تغيير الهجة و الأسلوب. ص 245-246

نصوص من كتاب عز الدين البوشيخي:

بحثا عن مصطلح ملائم:

يعد مصطلح القدرة التواصلية أصدق عبارة فنية تعبر عن هذا التصور البديل وويبين هايمز(1972: 120) أن الأصل في ظهوره يرجع إلى التقاء تيارين متمايزين هما تيار النحو التوليدي التحولي واثنوغرافيا التواصل لاشتراكهما معا في البحث عن نوع من الطاقات التي يتوفر عليها مستعملو اللغات الطبيعية وطبيعتها.

وإذا كان معظم اللسانيين يحيلون على كتاب منسوب لهايمز(1971) بصفته مصدر هذا المصطلح ، فإن هايمز نفسه بين أن الطريقة التي تم بها استعمال هذا المصطلح وتداوله بين اللسانيين ليست مرتبطة بالمصدر المحال عليه ، وأنه لا ضرورة تدعو إلى نسبه إلى لساني محدد.ولعل صعوبة الحسم في نسبة هذا المصطلح إلى لساني محدد تعود إلى ما طبع الأبحاث الكثير التي تصدت لهذا الموضوع من تردد وارتباك في استحداث مصطلح ملائم .فقد اقتصرت في البداية على استعمال مصطلح الطاقات والمهارات اللغوية كما فعل كاتز وفودر (1962) عند تأكيدهما أنه« يتوجب على نظرية لغوية تقام للغة خاصة أن تستهدف إبراز الطاقات والمهارات التي يتوفر عليها متكلم اللغة بطلاقة، والتي تساهم في الإنجاز اللغوي » وحذا حذوهما هايمز (1963أ) الذي اتخذ مضمون هذا النص منطلقا لتقديم تصور موسع عن القدرة اللغوية . وذهب آخرون إلى استعمال مصطلحات أخرى كما فعل كاتز وبوسطل (1963) حين ميزا بين معرفة اللغة وإتقان اللغة وكما فعل كورمان (1971) حين ميز بين المعرفة اللغوية وبين البراعة اللغوية. وبظهور مصطلح **القدرة** على يد تشومسكي (1965) بدا لعدد من الباحثين الذين لم يقصروا على المعرفة النحوية إضافة صفة التواصل إلى مصطلح القدرة في مقالة طويلة قدمت صياغتها الأولى سنة (1966) ونشرت سنة (1971) ثم (1972) كما استعمل المصطلح ذاته كل من جاكوبوفيتش(1970) وكامبل وولز (1970) ، وصافينيون (1972) ، وذلك بصورة متوازية ومستقلة عن استعمال هايمز. وسارع باحثون آخرون إلى ابتداع مصطلحات أخرى كمصطلح القدرة التفاعلية(ميهان 1972) والقدرة الحوارية (كينين 1974) ، والقدرة اللغوية الاجتماعية (كنال وصورين 1979)، والقدرة التداولية (تشومسكي 1980ب) وغيرها.

إلا أن هذه المصطلحات- المفاهيم لا تندرج في إطار مشروع علمي يستهدف بناء نموذج شامل لطاقات المتكلمين ، وإنما انحصر دورها في تعيين مجال عد ضروريا إلى جانب القدرة النحوية(هايمز 1982: 121-127) ولعله بسبب ذلك لم تحقق ماحققه **مصطلح القدرة التواصلية** من انتشار واسع فقد تم تبنيه في مجال اللسانيات التطبيقية واللسانيات الاجتماعية ، وبيداغوجيا التعليم ، واللسانيات النفسية ، والانثربولوجيا ، وفي الدراسات المعنية بالتواصل عامة، اللفظي منه وغير اللفظي. واتسع مجال استعماله حتى أصبح مصطلحا عالميا .إلا أن الانتشار الواسع الذي عرفه هذا المصطلح لم يصحبه تصور محدد موحد لمضمونه. ص30

النص الثاني : مفهوم القدرة التواصلية

وإذا غضضنا الطرف عن الاختلافات المتعلقة بما تعنيه معرفة استعمال اللغة بالتحديد ، يمكن أن نميز بين تصورين اثنين لمضمون هذا المصطلح:

أ- تصور يفهم القدرة التواصلية أنها عبارة عن قدرة نحوية مضاف إليها قدرة من نوع آخر ، كالقدرة التداولية مثلا.

ب- وتصور يفهم القدرة التواصلية أنها عبارة عن قدرة واحدة من شقين : شق يتعلق باللغة ، وشق يتعلق باستعمالها. ص 31

النص الثالث:

مكونات القدرة التواصلية:

على سبيل المثال التمييز الذي اقترحه كانا وصورين(1979) بين ثلاث قدرات:

أ- قدرة نحوية

ب- قدرة لغوية اجتماعية تتضمن قواعد الاستعمال ذات الطابع الاجتماعي – الثقافي، وكذا قواعد الخطاب التي تضمن تماسكه وتناسقه.

ج- وقدرة استراتيجية تتضمن استراتيجيات التواصل اللفظية وغير اللفظية.

ومنها التمييز الذي اقترحه أبوبين(1970) خمس قدرات:

أ- قدرة لغوية

ب- قدرة اجتماعية ثقافية ،

ج- قدرة منطقية تعنى بتماسك الخطاب وتناسقه،

د- وقدرة اقناعية تتضمن استراتيجية الخطاب،

هـ- وقدرة رمزية تعنى بالمظاهر غير اللغوية الواردة في عملية التواصل.

ومنها التمييز الذي اقترحه بارمر وآخرون (1981) بين ثلاث قدرات :

أ- قدرة لغوية ،

ب- وقدرة لغوية – اجتماعية تعنى بتماسك الخطاب ، وكذا المراجع الثقافية ،

ج- وقدرة تداولية تعنى بتحديد العلاقة بين صورة الملفوظ والقصد الدلالي من استعماله.

إلى جانب هذه المحاولات نذكر تمييز أبيديتو وروزنبرغ (1987) بين اربع قدرات أو مهارات داخل القدرة التواصلية هي:

أ- القدرة اللغوية ،

ب- القدرة المعرفية،

ج- ومهارات الاستدلال التي يعزى إليها فهم الأفعال الإنجازية،

د- وأسس المعرفة التي يتم استعمالها في التواصل اللغوي كما في غيره.

وقد بينا أن عدم نمو أي من هذه القدرات يؤدي إلى مس القدرة التواصلية لمستعمل اللغة بالتخلف.

وما يلاحظ –عامة - على هذه المحاولات وغيرها مثلها أنها لا تتفق – من جهة –على عدد محدد لمكونات القدرة التواصلية أو نوعها ، وأنها من جهة أخرى – أقامت تصنيفات و تقسيمات داخل القدرة التواصلية في غياب أي أساس نظري أو نموذج تمثيلي . إلا أنها – لا شك- مهدت الطريق لذلك. ص32-33